الصوتيات الوظيفية والفونولوجيا الغربية – قراءة في التراث الصوتي العربي –

FUNCTIONAL PHONETICS AND WESTERN PHONOLOGY - A READING IN THE ARAB PHONOLOGICAL HERITAGE -

أمينة حسني

المدرسة العليا للأستاذة بوزريعة (االجزائر)، amina.ling.ens@gmail.com

تاريخ الارسال 02020/12/30	تاريخ القبول 2021 /04/04	تاريخ النشر 2022/04/15

الملخص		**Abstract**
إنّ كثيرا من الدراسات الصوتية العربية عند الأوائل من النحاة واللّغويين العرب الأوائل، نجدها تقترب بصفة كبيرة جدّا من الطرح البنيوي الوظيفي الّذي تناول الصوت اللّغوي ووظيفته ودوره في بنية الكلمات وتمايز معانيها وتباين دلالتها، كما نجد كثيرًا من القضايا الصوتية الفونولوجية التي طرحها رواد المدرسة الوطنية الفرنسية وأفراد نادي براغ الألسني موجودة في ثنايا التراث اللّغوي والنحوي العربي من مثل قضايا الاقتصاد اللساني والتقابلات الوظيفية ودور الفونيم وغيرها كثير.		Many Arabic phonetical studies among the early Arab grammarians and linguists, we find them very close to the functional structural proposition that dealt with the linguistic sound, its function and its role in the structure of words, the differentiation of its meanings and the variation of its semantics form, and we find many phonological issues raised by the pioneers of the French functional school Members of the Prague school of linguistics are in the folds of the books of the Arabic linguistics and grammatical heritage, such as the issues of linguistic economics, functional, the role of phoneme, and many others.

الكلمات المفتاحية: الصوت اللّغوي، الفونيم، الفونولوجيا، التنوعات الصوتية، الإبدال، التقطيع المزدوج.		**Keys Words:** phoneme, phonology, phonemic variations, transposition, double articulation.

المؤلف المرسل: **أمينة حسني**، الإيميل: amina.ling.ens@gmail.com

نشأت الدراسات الصوتية عند العرب وصفية يحكمها التأمل والملاحظة الذاتية للظواهر الصوتية والوصف المباشر للصوانت والحركات، بدأت عند أبي الأسود الدؤلي (ت 69 هـ)، ثم عند الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 17 هـ) وتلميذه سيبويه (ت 180هـ) ومساهمات القراء وعلماء التجويد في إرساء دعائهم الدّرس الصوتي بما أضافوه من تفاصيل صوتية أثناء دراستهم للقرآن الكريم بقراءاته المختلفة.

إنّ الدراسات اللّغوية عند العرب لم تنظر إلى الدراسات الصوتية على أنها أول مستويات البحث اللّغوي كونها تتناول البحث الصوت الّذي يعتبر مادة بناء اللغة، و لم تعالجها علاجًا مستقلا في متون خاصة بها، بل نجدها منتورة موزعة في ثنايا كتبهم النحوية أو الصرفية في أبواب لم يقصدوها فيها لذاتها، بل تمهيدا لدراسة الظواهر المرتبطة بعلم الصرف أو الإملاء، و هذا ما نجده عند سيبويه في نهاية مؤلّفه (الكتاب) الّذي عالج مخارج الأصوات و صفاتها قبل حديثه عن الإدغام، و كما نجد المبِرد في (المقتضب) قد تحدّث عن الإدغام و قدَّم له بدراسة الأصوات، الزجاجي في كتابه (الجهل) درس الأصوات تمهيدا للحديث عن الإدغام، و كذلك فعل الزمخشري في (المفصّل) كما تناول أصحاب المعاجم بعض مسائل الصّوت خاصّة عند من اعتمد نظام التقليبات كالخليل بن أحمد الفراهيدي في معجمه (العين) الّذي رتّب فصوله ترتيبا صوتيا مخرجيًا.

وظيفة الصوت اللّغوي في الدراسات العربية القديمة

إنّ العلماء العرب وإنْ لم يستخدموا الوظيفة مصطلحًا، نجدهم قد عالجوا دور الحروف في تغيير الدلالات في الكلمات، كما أنّهم تناولوا بالدّرس والتحليل التغيّرات الصوتية الناجمة عن تجاوز الأصوات اللّغوية في سلسلة الكلام، فتحدّثوا عن الإبدال والإدغام والقلب والإعلال، كما تعرّضوا إلى الاختلافات الدلالية الحاصلة من تغيير الحروف عند ترتيبها في الألفاظ. وعالجوا إضافة إلى ذلك وظيفة الحركات – طويلة كانت أم القصيرة – في تمييز بين مختلف الصيغ الصرفية (كالتفريق بين اسم الفاعل واسم المفعول من غير الثلاثي).

1– وظيفة الصوت اللّغوي عند الخليل (ت 180 هـ):

تعرّض الخليل للصوت اللّغوي في معجمه (العين) مفرّقا بين الحروف الصحيحة (الصوامت) والأصوات الهوائية الصائتية بل إنّه لم يكتف بدراسة الصوت معزولا فتناول وظيفته في العربية تناولاً علميا بعرضه لظواهر الإعلال والإبدال والإدغام وحكاية الصوت وغيرها من الظواهر الصوتية التي تدرس الأصوات وهي مجتمعة متجاورة.

ومن هنا فقد نظر الخليل إلى الحرف من حيث إنّه صوت لغوي ذو سمات وخصائص قادر على التمييز بين الكلمات، لا من حيث إبداله بحروف أخرى فحسب، بل حتّى من حيث ترتيبه مع غيره وموقعه في بنية الكلمة، وقد رصد الخليل في معجمه الكلمات الأصول حسب موضع الحروف فيها على النحو الآتي:

– **الأصول الثنائية:** وتتصرّف على وجهين: قَدْ – دَقْ ...

– الأصول الثلاثية: وتتصرّف على ستة وجوه مثل: ضَرَبَ، بَرَضَ، بَضَرَ، رَبَضَ، رَضَبَ

– الأصول الرباعية: و تتصرف على أربعة و عشرين وجها، و ذلك باعتبار حروفها الأربعة التي تُضْرَبُ على وجهه الوحدات الثلاثية الستة فتصير أربعة و عشرين تقليبًا نحو: دحرج، دحجر، دجح، دجحر، جحدر، حجرد.....

– الأصول الخماسية: و تُضْرَبُ بعدد حروفها الخمسة في عدد تقاليب الرّبَاعي و هي أربعة و عشرون فتصير مائة و عشرين تقليبًا نحو: سفرجل، سرفجل، فسرجل، رسفجل، فرسجل....

و بعد أن أحصى الخليل هذه الاحتمالات اختار منهما المستعمل – أي الألفاظ الّتي لها معنى مقبول متعارف عليه [1]، و يكون بهذا قد جمع بين الجانب الرياضي المنطقي– في الإحصاء– الّذي يعتمد الحساب، و بين الجانب اللغوي عند التمييز بين المهمل و المستعمل من الألفاظ؛ فالدلالة إذاً معيار التمييز بين الكلمات و الّتي تقوم على كيفية ترتيب الحروف.

[1] للتوسع في هذا ينظر : أحمد عمر مختار ، البحث اللّغوي عند العرب، منشورات عالم الكتب، ط7، 1997، ص 93←119

- الوظيفية الصوتية عند سيبويه:

على غرار أستاذه الخليل عالج سيبويه (ت 180 هـ) الأصوات اللغوية في باب عقده للإدغام آخر مُؤَلِفِه (الكتاب) فدرس مخارج الحروف و حدّد صفاتها، و لم يكتف بالوصف بل تناول وظيفة الحروف و دورها في تفسير دلالات الألفاظ و معاني الكلمات، و قد بدأ سيبويه حين تعرّض إلى بتحليل الأصوات العربية بالحروف الأصول الّتي تمثل النظام الصوتي العربي إذ يقول: فأصل حروف العربية تسعة و عشرون حرفا.... [2] و هذا الأصل مشهور و معروف عند الناطقين بلغة الضاد متمثلة في حروف الهجاء ، ثم أضاف إليها حروفا أخرى تتفرّع عن هذه الأصول التسعة و العشرين منها المستحسنة و منها للمستهجنة يقول سيبويه: " و أصل حروف العربية تسعة و عشرون حرفا بحروف هنّ أصول.....و تكون خمسة و ثلاثين حرفا بحروف هنّ فرع و أصلها من التسعة و العشرين و هي كثيرة يؤخذها و تستحسن في قراءة القرآن و الشعر...و تكون اثنين و أربعين بحروفٍ غير مستحسنة و لا كثيرة في قراءة القرآن و الشعر..." [3]. و من هنا نجد قضايا صوتية وظيفية وردت عند العالم العربي سيبويه لا تخرج عمّا جاء به الطرح الفونولوجي الحديث عند رواد حلقة براغ الألسنية، و لنا أن نقابل من خلال:

- قسّم سيبويه الحروف العربية إلى أصول تبنى بها اللّغة العربية وهي حروف الألفباء التسعة والعشرون، وهو ما يقابل مفهوم الفونيم عند الوظيفيين الّذي يعرّفه سوسير على أنّه أصغر وحدة صوتية غير دالة يصل إليها التقطيع المزدوج.
- إنّ ما جاء به سيبويه من تقسيم للحروف إلى أصول وفروع لا يختلف عن تقسيم الوظيفيين للأصوات اللّغوية إلى فونيمات وتنوعات صوتية منها أو ألفونات.
- إنّ ما زاد فيه العرب أن ذكروا لهذه التنوعات أو الفروع معيارا آخر و هو القبول أو الاستهجان، فقد جعل سيبويه مقياس الفصاحة هو الّذي يتحكم في شيوعها و استعمالها، فقسّمها انطلاقا من هذا المعيار إلى مستحسنة أو مستهجنة، و هكذا فعل العالم الوظيفي

[2] ينظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، دار الرائد العربي، بيروت، دط، ج1، ص 47.
[3] سيبويه: الكتاب، دار صادر بيروت، ط4، ج4، ص 431.

(دانيال جونز) الّذي قسّم أعضاء الفونيم الواحد (أي ما يتفرع عنه من تأنيّات) إلى ألفونات أساسية و أخرى مساعدة و هو يعتمد أيضا على مقياس الشيوع و الأهمية.

الوظيفة الصوتية عند ابن جني:

يعدّ ابن جني أوّل نحوي عربي تناول الأصوات اللّغوية العربية بدراسة مستقلة في سفر خاص بها اسماه (سرّ صناعة الإعراب) والّذي يعتبر بحق أوّل كتاب عربي متخصّص في دراسة علم الصوت اللّغوي؛ حيث تناول أصوات اللغة العربية بالبحث و التحليل والوصف الدقيق للصوائت والحركات، عيّن من خلاله مخرج كل صوت و حدّد صفاته من حيث الجهر أو الهمس و الشدّة أو الرخاوة أو الميوعة إلى غير ذلك من الصفات التي تواضع عليها العرب (قديما و حديثا).

وعلى رغم امكاناتهم (يعني العرب) المحدودة تمكن هذا العالم اللّغوي من تحديد معظم أعضاء النطق ومن توضيح وظيفة كل عضو منها في عملية الكلام، فكان بذلك أول عالم عربي في علم الأصوات بالدراسة منفردا في سفر واحد، مخالفا من العرب الأوائل الذين طرحوا قضايا وعالجوها متناثرة في مصنفاتهم النحوية والصرفية.

في كتابه سر صناعة الإعراب، تناول ابن جني الأصوات اللغوية على أنّها الأصول التي بها تتشكل الكلمات، وعالجها في تعالقها ونظْمها (في بنية واحدة) على أنّها تغيرات صرفية تتحقق بمجموعة من الظواهر الصوتية الوظيفية من إعلال وقلب وإبدال وإدغام، وكانت هذه العناصر أفكارا محورية يحملها كتابه الفريد الّذي يمكننا أن نصنفه موازيا ونظيراها ما لتلك الدراسات الفونولوجية الحديثة، الّتي نادى بها نادي براغ الالسني ومدرسة مارتي الوظيفية الفرنسية

التغيرات الصوتية الوظيفية في كتب التراث العربي (الفونولوجيا العربية):

تميل اللّغة الإنسانية إلى السهولة والتسيير والتخلّص من الأصوات العسيرة النطق وتستبدل بها أصواتا أخرى لا تتطلّب جهدا عضليا كبيرا، وذلك وقوفا عند مبدأ الانسجام الصوتي، هذا الّذي عمل النحاة واللغويون الأوائل على تجسيده بطرق متنوعة وكيفيات مختلفة من خلال دراستهم لطرق الإعلال والإبدال والقلب والإدغام وغيرها من الظواهر الصوتية الوظيفية الّتي شغلت حيزًا كبيرًا في أعمال علماء الفونولوجيا المحدثين الّذين سعوا إلى تحقيق التماثل بين الأصوات اللّغوية المتجاورة الّتي

تنتظم في وحدة لغوية متكاملة على شكل سلسلة خطية تؤدّي إلى ابتكار وحدة معجمية لها معنى مستقل ، و قد يتأثر الحرف بما يجاوره فيَنْدمجُ معه أو يُستَبْدَلُ بآخر يتفق معه في النطق ، أو يسقط أحد الصوتين المتجاورين تمامًا و ذلك " ليستعملوا ألسنتهم في ضرب واحد. "[4]

إن جميع هذه التغيرات التي تصيب الأصوات اللّغوية في تعالقها واجتماعها وتآلفها في تجمعات صوتية محدّدة ليست عامة في كلّ ظروف الحرف وسياقاته اللّغوية وأمام هذه التشكلات تناول اللّغويون العرب هذه التغيرات الصوتية تخفيفا على اللسان وتحقيقا للانسجام وسهولة في النطق في إطار المماثلة الصوتية، وهذا ما حدّده مارتني الّذي أشار إلى أنّ غاية هذه الظواهر (الصوتية) إنّما هو الميل إلى الإقتصاد اللساني من جهة، وإلى توخي السهولة قدر الإمكان في الجهد العضلي من جهة أخرى.

وفي هذا المقام سنطرح أهم الظواهر الوظيفية للصوت كما يلي:

1-المماثلة الصوتية:

تتواتر الأصوات اللّغوية في سلسلة الكلام المنطوق فيؤثر بعضها على بعض نظرا لتجاورها حين النطق بالكلمات الّتي هي مبان من الحروف، فيميل اللّسان إلى تحقيق نوع من المماثلة بينها وذلك إذا تقاربت مخارجها أو تشابهت صفاتها لتسهيل نطقها وهي مجتمعة فكيف نظر اللّغويون العرب إلى هذه الظاهرة؟

إنّ الحديث عن هذه الظاهرة يستوجب منّا الوقوف على آراء المتقدمين من علماء العربية، فقد عالج سيبويه هذه الظاهرة الصوتية في الباب الّذي عقده تحت عنوان "الحرف الّذي يضارع به حرفًا من موضعه ، و الحرف الّذي يضارع به ذلك الحرف و ليس من موضعه " في مصنّفه (الكتاب) فذكر: " فأمّا الّذي يضارع به الحرف الّذي من مخرجه فالصاد الساكنة إذا كانت بعدها الدال وذلك نحو مصدر و أصدر والتصدير لأنّهما قد صارتا في كلمة واحدة في الفعل ، فلم تدغم الصاد في التاء لحالها التي ذكرتُ لك، ولم تبدل لأنّها بمنزلة اصطبر، و هي من نفس الحرف، فلمّا كانتا من

[4] ابن جني: سر صناعة الإعراب، محمد حسنين هنداوي، دار القلم، دمشق، ط1، 1985، ج1، ص 6

نفس الحرف من باب صادق ، فجعلوا الأول تابعًا للآخر فضارعوا به أشبه الحروف من موضعه وهي الزاي لأنّها مجهورة غير مطبقة" [5] .

لقد أشار سيبويه – من خلال هذا القول – إلى إحدى كيفيات التأثير الصوتي الّذي يجري فيه التيار التأثيري من صوت الدال الّذي يتميّز بالشدّة والوضوح السمعي (الجهر) إلى صوت الصاد اللثوي (المهموس) ونتيجة هذا التأثير تحوّل الصاد إلى زاي لأنّها أقرب الحروف مخرجًا إلى الصاد ومهجورة مثل الذال: وهذا يوضحه سيبويه بقوله: " ...وسمعنا العرب الفصحاء يجعلونها زايًا خالصة".

و ذلك نحو قولك في التصدير الفرديين و في القصد الفرد و في أصدرت أزدرت.... [6] و يرى سبويه ذلك التقريب و الإبدال طلبا لإقتصاد عمل اللسان و التقليل من الجهد العضلي في عملية النطق لأنّ " ما دعاهم أن يقرّبوها ويبدلوها بأن يكون عملهم من جهة واحدة و يستعملوا ألسنتهم في ضرب واحد" . [7]

و من هنا نقف عند مجموعة من المتقاربات الوظيفية بينما وصلنا من كلام سيبويه و بين قضايا الوظيفة الصوتية عند علماء الفونولوجيا الغربيين المحدثين كما يلي:

– عبّر سيبويه عن تأثير لجيهور في المهموس تم إبدال الأول لتحقيق التجانس و هذا ما سمّاه الوظيفيون بالتأثير الرجعي.

– يكون عمل اللّسان من جهة واحدة عند سيبويه موافقا لمفهوم الإقتصاد اللساني عند الوظيفيين.

– المضارعة و التقريب مصطلحان استعملهما سيبويه يقابلان مصطلح المماثلة الصوتية في الفونولوجيا الحديثة للدلالة على تأثر الأصوات ببعضها ببعض.

[5] سيبويه: الكتاب، ج1، ص 477-478.

[6] نفسه، ج4، ص 478

[7] نفسه

و قد أطلق الرّضي الاستراباذي (ت 686) في شرحه لشافية ابن الحاجب مصطلح (مناسبة)[8] ويقصد بها تحقيق الإنسجام الصوتي بالمقاربة بين أصوات اللّغة.

وناقشها ابن جني (مماثلة) تحت ما أسماه (الإدغام الأصغر) الّذي هو " تقريب الحرف من الحرف وإدناؤه من غير إدغام يكون هناك " وقد عالجها في ضروب مختلفة منها الإمالة، والإمالة ظاهرة صوتية غرضها تسهيل النطق وتحقيق الانسجام الصوتي بالتقريب بين الحركات المتجاورة.

وعليه: نخلص إلى أنّ علماء العربية الأوائل قد طرحوا وعالجوا ظاهرة المماثلة الصوتية وضربوا لنا أمثلة عنها لكنّهم لم يّفصِلوا بين مختلف طرقها، ولم يخصّصوا لها أبوابا مستقلة في دراستهم وكتبهم.

2 /**الابدال**:

ورد عند ابن منظور (ت 711هـ) في "اللّسان" قوله: أبدل الشيء أبدله اتخذ منه بدلا وبدّله من خوفه أمنا وتبديل الشيء تغييره والمبادلة التبادل والأصل في الإبدال جعلُ شيء مكان آخر". وقد خصّص العرب جانبا من جهودهم لدراسة ظاهرة الإبدال في كلام العرب وصنفوا فيها المؤلفات ويعدُّ كتاب (الإبدال) لابن السِكّيت من أشهرها، إضافة إلى كتاب أبي الطيّب اللّغوي (الإبدال) والإبدال ظاهرة صوتية وظيفية عرّفها الاستراباذي بأنها "جعل حرف مكان حرف غيره، ويُعرَّف بأمثلة اشتقاقه كتراث وبقلة استعماله كالثعالي، وبكونه فرعاً، والحرف الزائد كضويرب، ونحو اصطبر وادّارك"[9].

فالظاهرة الصوتية (يعني الإبدال) إذًا عند العرب تحدث عندما تتفق كلمتان في المعنى وفي جميع الأصوات اللّغوية عدَا صوتاً واحداً، شرط أن يكون الترتيب نفسه في الكلمتين مثل " آجم وآجن"

[8] الاستراباذي: شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق محمد الزفزاف، مطبعة حجازي، القاهرة، دط، 1357، ج3، ص 141

[9] الاستراباذي: شرح الشافية، ج3، ص 197

[10] اللّتين تترتب فيهما الحروف على نمط واحد عدا الحرف الأخير من كلّ كلمة (الميم والنون) وبين كلمتي "أصيلان وأصيلال" [11] وهاتين الكلمتين تختلفان في (النون والميم) فما تعليل ذلك؟

يعلّل ابن السكّيت هذا الإبدال بين:

الميم والنون: لاتفاقهما في صفة الغنة (وهي صفة لحرفي الميم والنون لتسرّب الهواء من الخيشوم) وتقارب المخرج بينهما.

اللام والنون: لاشتراكهما في المخرج (النطع).

ومن هنا نستنتج أن الإبدال يحدث بين صوتين يشتركان في المخرج أو الصفات ولنشرح أكثر لظاهرة الابدال نقدّم بعض النماذج الّتي وصلتنا عن:

الفرّاء: (ت 207 هـ) الّذي يقول "والعرب تسهّل الفاء بالثاء فيقولون جدث وجدَف، ووقعوا في: عاثور شر عافور شر، والأثَافي والأثَاثي وسمعت كثيرا من بني أسد يسمي المغافير المغاثير" .[12]

فهو هنا يعرض الكلمة وهي على أصلها، ثم يذكر التأدية وهنا في هذه الأمثلة استبدال حرف الفاء في النّطق بالثاء وتعليل ذلك نراه أنّ سبب الإبدال تقارب في المخرج بين الثاء (الأسناني) والفاء (الشفوي الأسناني) زيادة على اشتراكهما في الهمس والرخاوة.

سيبويه:

ونجد حديثه عن الإبدال في مواضيع متناثرة نذكر منها قوله" .....وقد قربوها منها في افتعلوا حين قالوا اجدمعوا أي اجتمعوا واجدرءوا يريدون اجترءوا، كما قرّبها في الدال وكان حرفا مجهورًا قرّبها منه في افتعل ليبدل الدال مكان الثاء ليكون العمل من وجه واحد ولا يجوز أن تجعلها زايا خالصة ولا الشين لأنّهما ليس من مخرجهما. ومن استقراء كلام سيبويه نستخرج الأمثلة الّتي طرحها كالآتي:

---

[10] ابن السكيّت: كتاب الإبدال، تح حسن محمد شرف، المطابع الأميرية، القاهرة، دط، 1978، ص 78

[11] نفسه، ص 64

[12] مرعي الخليل: المصطلح الصوتي عند علماء العرب القدماء ، منشورات جامعة مؤتة، الأردن، ط1، 1999، ص 161

1_**إبدال التاء دالا:** في نحو قولهم اجدمعوا والأصل اجتمعوا وتعليل ذلك نراه في التقارب المخرجي بين حرفي الدال اللّثوي والجيم الشجْري، زيادة على اشتراك الجيم والدال في الجهر والشدة واتصاف التاء بالهمس، فلما التقى الهمس في التاء بالجهر في الجيم أبدل حرف التاء بحرف آخر من مخرجه نفسه تحقيقا للتناسب الصوتي بين حروف الكلمة.

2_**إبدال تاء افتعل دالا:** وذلك من نحو قولنا ازدجر من الفعل زجر، إذْ الأصل فيه ازتجر ففيها يجري التيار التأثيري من صوت الزاي الصفيري الذي يتميز بالحدّة والوضوح السمعي "الجهر" إلى صوت التاء اللثوي المهموس، ونتيجة هذا التأثير يحوّل صوت التاء إلى صوت الدال المجهور، والعلّة تقارب مخرج الدال اللثوي والزاي الأسناني مع اشتراكها في صفة الجهر وغياب هذه الصفة مع التاء.

ثمّ بعد أن عرض سيبويه نماذجه الإبدالية علّل سبب حدوثها فقال: "ليكون العمل من وجه واحد" والمقصود بذلك أنّ هذه التبدلات في الكلام المنطوق تحصل طلبا لتوفير الجهد العضلي والإقتصاد في عمل اللّسان.

ولقد ساير الدارسون العرب المحدثون العرب القدامى في تعريفهم للإبدال اللغوي، فهذا ضاحي عبد الباقي يعرّفه بأنّه إقامة حرف مقام حرف آخر فيقول: " إنّه النطق بحرف واحد أو أكثر مكان غيره في الكلمة، ويعرّفه جرجي زيدان بأنّه" إقامة حرف مقام آخر ويحصل غالبا بين الحروف الّتي تكون من مخرج واحد أو من مخارج متقاربة"

وعليه: فإنّ الإبدال لا يعني التقابل بين قديم متروك ومستعمل جديد في الكلام العربي، وإنما وانطلاقا ممّا ذكرنا هو التقابل بين ما حدّه وقرّره النّظام وبين ما يتطلّبه السياق، وهذا نراه لم يخرج عمّا جاءت به الفونولوجيا عن إبدال الفونيم بها يؤدّى عنه من تنوعات صوتية.

3 /**الإدغام** :

تكاد لا تخلو مصنفات العرب القدامى من الحديث عن ظاهرة الإدغام. في اللّغة جاء في اللّسان: "دَغَم الغيث الأرض إذا غشيها وقهرها" [13] وعلامته عند الخليل التشديد، واعتمادة واحدة عند المبرد.

ولقد اهتم سيبويه بظاهرة الإدغام حتّى جعلها مناط دراسته للأصوات اللّغوية كلّها في باب عقده لها سمّاه (باب الإدغام) في آخر مصنّفه (الكتاب) ويفسرّه أنه يحدث في الصوتين يدخل أحدهما في الآخر، والإدغام في نظره أنواع:

1/. الإدغام في الحرفين اللّذين تضع لسانك لهما موضعا واحدا لا يزول عنه كالميم بعد الميم في كلمتين متتاليتين نحو قوله عز وجل:" إنّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ"[14]

2/. الإدغام في الحروف المتقاربة الّتي هي من مخرج واحد أو من مخرجين متقاربين ويقسّم سيبويه الإدغام في هذا المجال إلى ثلاثة أقسام بحسب مجموعات الحروف:[15]

– من الحروف ما لا يدغم في مقاربه ولا يدغم مقاربه فيه: وهي الهوائية (الألف والهمزة والواو والياء فهي حروف إذا استثقلت في النطق مجتمعة خُفّفت بالإبدال أو الحذف دون الإغام)

– مالا يدغم من الحروف في مقاربه لكنّ مقاربه يدغم فيه: وذلك في الحروف المجموعة في كلمة (مفرش) فالميم مثلا لا تدغم في الباء وهو الحرف المقارب لها كونهما من مخرج واحد (الشفوى) لكن الباء تدغم في الميم، وقد مثّل سيبويه للأول بقوله (أكرم به) دون إدغام، وللثاني بـ (اصحمّطرا) الّذي حصل الإدغام فيها بين الباء والميم الظاهرتين في (اصحب مطرا)

– الحروف التي تدغم في مقاربها ويدغم فيها مقاربها:

وممّا مثّل لها به في (الكتاب) قوله (امدحّرفه) في كلمتي (امدح عرفة).

وعند النظر في العلل الّتي برّر بها سيبويه هذا الإدغام، يمكن أن نستخلص: إنّ الإدغام ظاهرة صوتية تحدث بين صوتين متقاربين في المخرج أو متقاربين في الصفات، والمقصود بالصفة هنا

---

[13] ابن منظور: لسان العرب، ج12، ص 202.

[14] سورة النساء، الآية 58

[15] سيبويه، نفسه، ص 437-477.

كيفيات النطق كالجهر أو الشدّة أو الرخاوة أو الهمس وقد قرّر، سيبويه أن الإدغام يكثر في حروف الفم الّتي يراها الأصل في الإدغام

ويذهب الأشموني وابن السراج والزجاجي إلى أنّ الإدغام يكون بـ:

- التقاء حرفين متشابهين فيسْكُن الأول ويدخل في جنس الثاني، ليصبح حرفا مشدّدا وسمّاه سيبويه (إدغام المِثْلين) ومن نماذجه: كدّ، عدّ، مدّ.....
- التقاء حرفين متقاربين في المخرج فيصبح أحدهما من جنس الآخر، وهو الّذي سمّاه (سيبويه) إدغام المتقاربين ومن نماذجه:

قوله تعالى: " **أَلا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ** "[16]

إدغام المتقاربين: مخرج لثوي ⟵ مخرج لثوي أسناني

وقوله تعالى: " **كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا** "[17]

إدغام المتقاربين: مخرج لثوي ⟵ مخرج شَجْري

فالإدغام إذاً: هو إدماج الصوتين المتتاليين ونطقهما دفعة واحدة نزوعًا إلى التيسيير والتخفيف في عملية النطق إذ يَصْعُبُ على اللّسان أن يقوم بالعمل نفسه مرتين متتابعتين، وهذا الهدف الجوهري للفونولوجيا الحديثة فيما تنادي به من قضايا الاقتصاد اللّساني الذي يحققها الإدغام (complète assimilation).

لا يستطيع أحد نكران ما بذله الرعيل الأوّل من أسلافنا من جهودٍ كبيرة في البحث والتأليف والتنقيب والتصنيف فكان من نتائج هذه الجهود قيام الدرس الصوتي ولا سيّما ما قدّمه الخليل وتلميذه سيبويه الّذي خَلَفَهُ على تراثه وغيرهما من علماء العربية أمثال ابن جني الّذي يعدّ أوّل من خصّ الأصوات اللّغوية العربية بالدرس المستقل.

وعليه: فإن من أهم القضايا الوظيفية الّتي طرحها الدرس الصوتي العربي في كتب التراث القديمة نذكر:

[16] سورة هود الآية 59

[17] سورة النساء الآية 53.

– الحرف العربي ووظيفته في تغيير معاني الكلمات و دلالاتها من خلال التعرض لمختلف التغيرات الّتي تحدث للصوت في مَدْرَج الكلام كالإعلال و الإبدال و الإدغام.

– ميّز قدامى العلماء العرب الحروف الأصول (الفونيمات في الفونولوجيا) عن غير الأصول (التنوعات الصوتية حديثا).

– تناول العرب الأُوَل مفهوم المقطع خصوصا في الدرس العروضي عند الخليل، والموسيقى الشعرية عند الفارابي.

– عرّف العرب النّبْر رغم قلة اهتمامهم به، و كان التنغيم من أهم عناصر الدراسة الصوتية العربية بما له من ملامح تمييزية و خصائص فارقة بين المعاني و الأساليب خصوصا.

قائمة المراجع:

[1]التوسع في هذا ينظر : أحمد عمر مختار ، البحث اللّغوي عند العرب، منشورات عالم الكتب، ط7، 1997، ص 93←119

[2] ينظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، دار الرائد العربي، بيروت، دط، ج1، ص 47.

[3] سيبويه: الكتاب، دار صادر بيروت، ط4، ج4، ص 431.

[4] ابن جني: سر صناعة الإعراب، محمد حسنين هنداوي، دار القلم، دمشق، ط1، 1985، ج1، ص 6

5 سيبويه: الكتاب، ج1، ص 477-478.

[6] نفسه، ج4، ص 478

[7] نفسه

[8] الاستراباذي: شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق محمد الزفزاف، مطبعة حجازي، القاهرة، دط، 1357، ج3، ص 141

[9] الاستراباذي: شرح الشافية، ج3، ص 197

[10] ابن السكيّت: كتاب الإبدال، تح حسن محمد شرف، المطابع الأميرية، القاهرة، دط، 1978، ص 78

[11] نفسه، ص 64

[12] مرعي الخليل: المصطلح الصوتي عند علماء العرب القدماء ، منشورات جامعة مؤتة، الأردن، ط1، 1999، ص 161

[13] ابن منظور: لسان العرب، ج12، ص 202.

[14] سورة النساء، الآية 58

[15] سيبويه، نفسه، ص 437-477.

[16] سورة هود الآية 59

[17] سورة النساء الآية 53.